استدعاء الهوية في الشعر السعودي المعاصر من عام ١٣٩٠هـ، وحتى عام ١٤٣٠هـ
دراسة تطبيقية (الهوية الاجتماعية نموذجًا)

د. عبدالرحمن بن خليفة الملحم

تمهيد

تعد دراسة أبعاد الهوية في الشعر السعودي المعاصر عملاً مهمًا ضمن منظومة الدراسات الشاملة لهوية مبدعي / شعراء المملكة العربية السعودية، وستبحث هذه الورقة نماذج الإبداع الشعري عن تلك القيم الموروثة من خلال تناول الشعراء للقضايا، والتطورات التي طرأت على المجتمع، وأثرت فيه، كما تنقب هذه الدراسة عن مكنونات الهوية، وعناصرها داخل الخطاب الشعري السعودي.

إن ترابطًا ما يجمع التراث إلى الهوية، إذ لا هوية من دون تراث تستند إليه، ولا تراث لا يؤسس للهوية، وهما عنصران متلازمان، ومكونان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية، فلكل أمة من الأمم تراث معلوم تعرف به، ولها هوية تتميز بها عن الأمم الأخرى، سواء كانت عارفة بهويتها، أم جاهلة بها، وهذا التراث مكون أساس للهوية، والهوية معبرة عنه، وناقلة له، والأمم تعرف بهويتها التراثية التي تجسدها الثقافة والحضارة، والمحافظة على التراث بأشكاله وأنماطه وتجلياته المتعددة، واجب، ومسؤولية، ورسالة، باعتبار أن التراث رصيد إنساني متراكم، يعد ثروة الأمة، ورصيدها الذي لا ينضب، ولذلك كان التفريط في التراث انسلاخًا من الهوية، وتنكرًا للأصول(١).

فهل أظهر الشاعر السعودي هويته الاجتماعية، واستدعى تراثه رابطًا بين التراث والمجتمع في نصه؟ نعم، وتتجلى طرق الشعراء في إظهار هويتهم الاجتماعية من خلال استلهامهم للتراث بكافة أشكاله وصوره.

كما أن العمل على استدعاء عناصر التراث ومفرداته، لا يتم عادة من خلال الإدراك المباشر، وذلك لأن جانبًا منه يحدده الزمن الحاضر، بينما يمتد الآخر إلى الزمن الماضي، وهناك ارتباط وثيق بين الشاعر الملتزم بهويته، والتراث الذي يشكل جزءًا من هذه الهوية بما يحمله من عبق الماضي(٢).

أولاً: مؤشرات استدعاء القيم في الشعر بعدًا اجتماعيًّا:

إن آليات استدعاء البعد الاجتماعي في هوية الشعر السعودي استدعاء تراث المجتمع، وتقاليده، وعاداته، وقيمه، ومظاهره.

وتنوعت مشكّلات الهوية الاجتماعية في الشعر السعودي، وتعددت مصادرها، وأبعادها، وأبرز هذه المشكّلات: الأرض، والعلاقة الوطيدة التي تجمعها بالشاعر، فهو ابن الأرض، ويحمل لها كل الحب والولاء، كما أن هذه العلاقة تتنوع حسب ميول كل فئة، وما نريد التأكيد عليه تأثر الشعراء بالظروف، والبيئات المحيطة بهم، خصوصًا وأن عاطفة الانتماء إلى هوية ما، لم تضعف لديهم، فالشاعر الذي نشأ في الريف، والعوامل المحيطة به من زراعة، ورعي، وعادات،لم يكن ضعيف الصلة بها، وهذا ما سنحاول إبرازه بالشواهد، والتحليل لتأثر الشعراء بالكثير من البيئات المتعددة، والمتنوعة حسب منشأ الشاعر، والعوامل المحيطة به، وهي مما كونت جانبًا من هوية الشاعر.

والشاعر السعودي ارتبط بأرضه ارتباطًا وثيقًا، وهي ملك لا يمكن الاستغناء عنه، مهما كلفه الثمن، وهو في نفس الوقت كان يعي تمامًا أن فقدانه لأرضه، هو فقدانه لهويته، ولغته اللتين هما أساس استمراريته، ووجوده الحضاري، حتى بلغ لدى بعضهم أنه عندما يُسأل

عن صلته العائلية يجيب عوضًا عن ذلك بانتمائه الجغرافي، كأن يقول: أنا ابن الجنوب، أو ابن نجد.

«والأرض من هذا المنظور عينة تحمل أبرز تجلٍّ لجملة من الأنساق من الظهورات المقدسة، فالتربة، والأشجار، والثمار، والماء، والظلال، والنبات، وسائر المشاهد الطبيعية للعالم تؤلف فيما بينها وحدة كونية حية شاملة لا تحد، ولا تنتهك، والتراب في دلالته الرمزية يشير إلى هذا التفاعل، والاشتباك بين مظاهر الحياة، أما الأرض، فهي الأصل، والمنبع لكل تجل للوجود في حالته البكر»(٣).

إن الشاعر ليس بمعزل عما يحيط به، وهذا التأثر تأكيد للانتماء إلى الأرض، وما تحويه من زراعة بكافة صنوفها، ويظهر ذلك بوضوح لدى الشعراء السعوديين بوجه العموم، ويبدو بشكل أوضح لدى الشعراء الذين ينتمون لأرض زراعية، ويعرفونها كما يعرف غيرهم الصحراء، ويهواها، فالطائف عرفت بالورد، والتين، والرمان، وكأن الشاعر يريد أن يعرف بنفسه من خلال هذه الأصناف التي عرفت بها الطائف، يقول حسن الزهراني:

أَنَا مِنَ (الطائف) المأنوس مِلْءُ يدي وَرْدٌ وَفِي سَلَّتي تينٌ وَرُمّانُ (٤)

ويقيم الشاعر عدنان العوامي حوارًا يتسم بالحب، والولاء مع مدينته، جانحاً بذلك الحوار إلى تلك الأيام العذاب؛ حيث منشأ الشاعر، وأيام صباه، متنقلاً بين ملامح متعددة لتلك الحياة، فتارة يتجول بين أفياء تلك الخضرة؛ حيث أشجار التين، والليمون، والرطب، وفي جانب آخر ممتطيًا ذلك المركب، ومرخيًا شراعه، حيث البحر وذكرياته، ونشير هنا إلى لفظة (أقتات)، ومجيئها في معرض الحديث عن الخليج، والشراع، وهي القاسم المشترك في هذه القصيدة، فقد كان القوت، وهو ما يأكُلُه الإنسان، ويعيش به، سابقًا مستمدًا مما ذكره الشاعر، سواء من المزرعة، وحقول الزراعة، أو كان البحر مصدراً من هذه المصادر، وهو قوت أهل السواحل، ولا يزال كذلك، بالإضافة إلى حضور بعض ملامح تلك الحياة، فذكريات الملبوسات الجميلة لم تزل عالقة في ذهن الشاعر، فالنفنوف، وصورة الرمل وقد أصبح في شكل خلخال، من آثار خطوات تلك المحبوبة ويصف جانبًا من تلك الحياة:

وَكَانَ صَوْتُك يَدْعُوني، فَمَا انتبَهَت أُذْني إليه فَإني مُمْعِنٌ، هَرَبَا
أَوّاهُ كَمْ خَانَني وَهْمي، وَكُنْتُ هُنَا أُغَازِلُ التينَ والليمونَ وَ الرّطَبَا
(أَقْتَاتُ) مِنْ قَطَرَات الضوء، أَنْسُجُهَا فَوْقَ الخليج شرَاعَاً ليناً، وَخبَا
وَ أجدلُ الرملَ خلخالاً لِصَاحبَتي أَضُمُّهُ ذَهَبَاً.. أَصْطَادُهُ حَبَبَا
ألفُّ منْهُ سِواراً حَوْلَ مِعْصَمِهَا أَرَشُّ منْهُ على نَفْنُوْفهَا قَصَبَا (٥)

ومن صور الهوية الاجتماعية المرتبطة بالحالة الزراعية في الشعر السعودي تصوير حياة القرية، وما يجري بين الفلاحين، وعكست تلك الصور بوضوح هوية الشاعر الاجتماعية ؛ إذ صورت انتماءه إلى الأرض التي طالما تعلق بها، وإلى تلك المهنة الشريفة التي يقتات منها، وجميع أفراد أسرته، وصورت شكلاً من أشكال الكفاح التي عاشها الشاعر، وأهله، واهتم الشعراء السعوديون بإبراز الهوية في هذا الجانب، والفلاح يحمل هوية السلام، والحب، وهي الأرض التي عشقها، ويعيش من أجلها كي يراها تثمر، حيث مشاهد الحقل، والعيش فيه، وحراثة الأرض، وغرس الاشجار، وبذر القمح حتى ينمو، ويحين قطافه، يقول صالح الوشمي راسمًا تلك المشاهد:

عشْتُ فِي حَقْلي كفَاحاً أَبْذُلُ الجُهْدَ وَ أَصْبِرْ
أَحْملُ الفأسَ نَشيْطاً أَحْرُثُ الأرضَ لتُثْمِرْ
همْتُ فِي حَقْلي سَعيْداً أَغْرسُ النّخْلَ وَأَبْذُرْ
حَبَّةُ القمح لتَنْمُو سُنْبُلاً سَبْعَاً وَأَكْثَرْ (٦)

وارتبطت الحياة الزراعية بالكثير من الموضوعات التي كانت في محيط الشاعر السعودي، وكانت تشكل هويته الاجتماعية، ومن ذلك (النخلة) التي وردت بكثرة في شعر شعراء هذه الفترة، وتمثل موضوعًا مهمًا ليس في المجتمع العربي والإسلامي فحسب، بل فيما ورثاه من تراث ديني وعقدي، فقد تبوأت (النخلة) مكانًا مرموقًا في المجتمعات التي من حولنا وفي مجتمعنا على وجه الخصوص، ورأينا لها وجودًا في الحضارات القديمة، كما في بابل، وآشور، وأصبحت رمزًا اجتماعيًا ودينيًا للنماء والعطاء، وكانت كائنًا مقدسًا يطوف الناس حوله في الجاهلية، وتقدم له القرابين، أما في التراث الإسلامي، فقد وردت في القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، يقول الله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ

بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾(٧)، وفي ذلك دلالة لمعادل موضوعي هو الخصب والنماء(٨).

وهناك تاريخ مشترك بين العرب والنَّخل، بل كما تغنى العربي بصحرائه، وناقته، تغنى بواحته، ونخله، تغنَّى بها طَلْعًا – وهو أوَّل التمر –، ثم غنَّاها، وهي خَلال – وهو ما اخضرَّ من التمر –، ثم شدا بها بُسْرًا، ثم رطبًا، ثم تمرًا، يقول امرؤ القيس واصفًا شعر المرأة بأنه مثل قنو النخيل:

وفَرْعٍ يَزِيْنُ المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِم أَثِيْثٍ(٩)كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ(١٠)

أمَّا زُهير بن أبي سُلمَى فيقول:

وهل ينبتُ الخطيَّ إلاَّ وشيجهُ وتُغرَسُ، إلاّ في مَنابتِها، النَّخْلُ(١١)

وتظهر النخلة لدى الشاعر السعودي هوية اجتماعية من خلال تصوير قدرتها على إمداد أهل الواحات ممن حولها بالمتطلبات الأساسية، والضرورية للحياة، إضافة إلى أنها كانت، ولا زالت مصدرًا رئيسًا لجلب الرزق، خصوصًا لدى الكثير من أهالي المناطق الزراعية، و يرمز الحب المتبادل بين الشاعر، والنخلة إلى الأمان، والطمأنينة، والراحة لهذه الأم التي تحمل التمر، والرطب في صدرها، وهو معادل موضوعي بين الأم التي تحمل في صدرها اللبن للطفل الرضيع، وبين النخلة التي تحمل في صدرها الرطب الجني الذي يأكله من يراها أمًّا للجميع، يقول محمد الخنيزي:

والنخلُ أعراسٌ وظلٌ وارفٌ وكأنها أحلامُ قلب عاني

في صدرها رطبٌ جنيٌ هانئٌ يبدو كمثل اللؤلؤ الفتان

تحنو على جُرح الجياع فيرتوي من نَبعها الصّافي بكلّ حنانِ (١٢)

فالقلب والصدر الحاني، والحنو على الجياع بثمرها، والحنان النابع منها، جعلت منها صورة متكاملة، وهي بهذه المعاني تحمل دلالات الأمان والطمأنينة، فهي مثل الأم تحنو على جميع الجياع.

وكثيراً ما يكون الخطاب للنخلة مقرونا بالأم، وإن اختلفت فلسفة الشاعر في ذلك الخطاب، وإبراهيم الوافي يخاطب هذه الأم:

أيها الأمُّ مدي حبالك نحوي

.. لابأسَ

بالجذع

بالسَعَف

بالمائسات القدود

وكنتُ أبي:

أمدُّ يدي باتجاه الضياء

أرى النخلَ يلتفُّ بالنخل

ليمونةً ظلَّلتْ في شفاتي(١٣)

ولم يكتف الشعراء بإعلان هويتهم الاجتماعية من خلال إعلانهم الحنين للنخلة، والحب المتبادل بينهما، وإعلان الانتماء لها ولأرضها، وإنما شمل ذلك الانتماء كل ما له علاقة بالنخلة من رطب، وتمر بجميع صنوفه، ويبرز ذلك عدنان العوامي في أكثر من موضع:

هوىً بين أضلاعي لظل نخيلها وجدولها الأدنى، ونجمتها القصوى

لماجِيَّةٍ (١٤) تستنشق الضوءَ برةٍ تجودُ على الأضياف بالمنِ والسلوى (١٥)

ويفاخر محمد الملحم بالثمار التي تنبتها أرض الأحساء، وأهمها: البوبيا، والتين، وأنواع الرطب، وكل نوع من الرطب تميز بصفات، وميزات تختلف عن بقية الأنواع؛ فالخلاص عرف بنضارته، والخنيزي تميز بلونه الأحمر الأخاذ، أما الشيشي، فاشتهر بالطوق الذي يلتف حوله، وتظهر جمال الصورة البيانية بتشبيه التمر الشيشي والطوق الذي يلتف حوله بالشيخ الذي وضع على رأسه العمامة، واستحق أن

يؤمَّ بقية الأنواع:

ثمارُهَا أجودُ الأثمار قاطبةً لاسيّمَا البوبيا(١٦) وَالتّين وَالرُطَبَا
منَ الخلاص نضاراً في تَرَقْرُقه إلى الخنيزيّ ياقوتاً وَمَا ثُقبَا
شَيْشَاؤهَا أمّهَا شَيْخَاً بعمّته وَأمّ سَائرَهَا فَاسْتَوْجَبَ اللقَبَا (١٧)

فالخلاص، والخنيزي، والشيشي من أجود أنواع الرطب المعروفة في المنطقة، والشاعر حاول إبراز الرطب في دلالته الرمزية، وتفاعله بين مظاهر الحياة، يعود لتلك الأرض التي هي الأصل، والمنبع لتلك النخلة.

ويستدعي محمد الخنيزي بعض العادات التي اشتهر بها أهل الواحات المرتبطة بموسم جني التمر، وهي ما يسمى ب (لقط التمر)، وكذلك بعض الألفاظ الشعبية المرتبطة بهذه العادة ك (الجابور)، وهو المرتفع عن الأرض بهدف نشر تمر النخيل لتجفيفه:

تمرٌ مثل قطاة في زهوها المخمور
وتلقطُ التمرَ كفٌ في ظرفها المخضور
من فوق جابورِ نخلٍ في قائظٍ و هجيرٍ (١٨)

والدبس المعتق من مشتقات التمور، ويستخدم ضمن مكونات الكثير من الأطعمة، ويبين الحميدين قدم هذا الدبس، وتخزينه في الجرار، وارتباطه بماضي الأجداد الذي عرف عنهم:

غريب جاء يبحث في بقايا البيت عن شمعه
عَنْ الدبس المعتق في الجرارِ
بقُرْبِ لُحُوْدِ أجْدَادِه (١٩)

ويمكن للترسيمة التالية أن تختصر دلالة استدعاء النخلة في الهوية الاجتماعية عند محيط الشاعر السعودي:

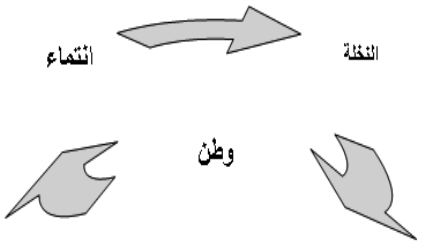

هوية البحر ومهنة الغوص:

ومهنة الغوص، وصيد اللؤلؤ من أعرق المهن التي اشتهر بها أبناء الخليج العربي ، حيث كان الرجال يغوصون في أعماق البحار لاستخراج اللؤلؤ، وكثيرًا ما اعتز الشعراء السعوديون بهذه المهنة، وصوروا ما يتخللها من صور جميلة، ومواقف رسمتها لهم الذاكرة، وكل ذلك نابع من اعتزاز بذلك الأصل الراسخ، والانتماء لتلك الحقبة الجميلة، ومحمد الخنيزي أمعن في وصف تلك الرحلة، وما يتخللها من الأغاني التي يرددها البحارة، بالإضافة إلى أغاني البحارة أثناء التجديف، وهي مختلفة عن سابقتها، و مليئة بشحنات الأمل، والتمني كي يتحقق ما يصبون إليه:

سفنٌ كالحَمَائم البيض كالأنْجُم تَطْفُو عَلَى فَم الموجات
وَأغَاني النهّام في الليلة القَمْرَاء لحنٌ يَسيلُ في الأنات
وَأغَاني المجدَاف في الموج أحْ لامٌ وَدُنْيَاً منْ عَالم الأمْنيات (٢٠)

وهنا الإشارة إلى سفن الغواصين، والأغاني التي كانوا يرددونها، والألحان التي تصدر من أفواه المنشدين، وكذلك أغاني المجداف أثناء حركة الموج، ويكمل رسم تلك الصورة الحية، فالموسم موسم المرجان، وهذا البحر خير شاهد على تلك الليالي المليئة بأنواع الفنون،

والإبداعات التي يظهرها البحارة كالصيد بطرق متعددة، والأغاني المصاحبة لها:

إنّهُ الغَوْصُ كالربيعِ ازْدِهَاراً　　وَانْفتَاحاً عَلَى سَنَا المرْجَانِ

يَأكُلُوْنَ الأسْمَاكَ مِنْ كُلِ نَوْعٍ　　وَيُغَنّوْنَ نَهْمَةً مِنْ حَنَانِ (٢١)

ويعود بنا إبراهيم مفتاح إلى اللحظات التي تسبق الذهاب إلى رحلة الغوص،ويسميه البعض الذهاب للمجهول، وأهم محطة في مسيرة الغوص، فإذا كان رب الأسرة يمثل أهم عنصر في الأسرة في أي مجتمع كان، فإنه يمثل أهمية مضاعفة في تلك الفترة لأي أسرة خليجية بسبب الفقر المدقع، وكونه الأمل الوحيد لاستمرار أي أسرة على قيد الحياة، وكان بدء موسم الغوص الذي يكون عادة في منتصف شهر مايو/أيار، أو أول شهر يونيو/حزيران من كل عام كابوساً يحرق قلب كل فرد من أفراد العائلة الخليجية، لذا كان الإعلان عن بدء الغوص يعتبر مناسبة حزينة، حيث تخرج النساء وأطفالهن، وكل من في المدينة لتوديع البحارة الذاهبين إلى المجهول، حيث تتم مراسم الوداع المختلطة بالبكاء والدعاء بالرجوع سالمين من تلك الرحلات التي لا يحبها أحد، فهي ليست رحلة إلى المجهول فقط، وإنما رحلة تنتزع رب العائلة من أسرته أربعة أشهر كاملة، تصبح فيها الأم هي رب الأسرة. والساعات التي تفصل الغواص عن أهله وأحبته، ومن أصعب اللحظات معاناة الأم، وهي ترى بنيها أو زوجها، وقد أعد العدة الخاصة برحلة الغوص:

وَلَكَم أُمَني النفسَ إنْ طافتْ بها　　صورٌ تُكَحّلُ بالرؤى أجْفَاني

لترى بنيك إلى " المغاص " تأهبوا　　والأمُ من أَلَم الفراق تُعاني

ابناً يرتب جَالِساً " مَلُّوَجَه "　　ويداهُ " في الدَنجيل " ابناً ثانِ(٢٢)

ويستدعي محمد العلي بعض المقاطع التي يرددها البحارة أثناء رحلة الغوص، وذلك للتخفيف من عناء الرحلة، يقول في قصيدة "هيلا هيلا ":

وناضجةٌ لآلئُ قاعكَ، الأبكارُ

والأنواءُ

وَسَمْرَاءَ (ابنُ يامن) لمْ تَزَلْ سَمْرَاءَ

يَحْدُوْهَا

وَيَنْثُرُ فَوْقَهَا النَهَّامُ مِنْ أَصْدَائه الخَضْرَاء

(هيلا، هيلا)

سَتُعْشبُ هَذه الرَاحَاتُ (٢٣)

وقد استطاع العلي أن يبرز الدقة والبراعة لملاَّح السفينة من خلال استدعاء شخصية (ابن يامن) الذي عرف بالقدرة الفائقة على قيادة السفن، وقد بلغت براعته أن يميل بالسفينة عن الطرق المعروفة والمسلوكة في البحر، ثم يعود بها، وقد اتسمت بالثبات والرُّسو على سطح البحر رغم شدة تلاطم الأمواج مستدعيًا بيت طرفة بن العبد الذي عبر عن إعجابه بسفينة ابن يامن، وثباتها:

عَدَوْليَّةٌ أو من سَفينِ ابن يامنٍ　　يجُورُ بها الملاَّحُ طَوْرا ويهْتدي(٢٤)

كما يستدعي غازي القصيبي صورًا أخرى هي امتداد لحياة البحر، وما يدور حولها من مشاهد مبرزًا حميمة خاصة له ؛ فهو يفاخر بأن منزله بالقرب من البحر،ينام ويصحو على أوتار الأمواج، والتي كانت بالنسبة له مصدر أمان، وقد أبرز هذه العلاقة في صورة إيجابية تعود إلى فلسفة خاصة له، وذلك خلاف ما نراه لدى الكثير من الصور لدى بعض الشعراء، والتي جعلت من البحر لوحة قاتمة تثير الهلع والخوف والرعب؛ لأنه في نظرهم كثير الرزايا، متلاطم الأمواج، حالك الظلام:

كَانَ يغفو في أذرعِ البحرِ بيتي　　حَولَهُ الماءُ رقصةٌ ولحونُ

كنتُ أصحو والجَزْرُ خلٌ وفيٌّ　　كنتُ أغفو والمدُ جارٌ أمين

ويتذكر أيام الصيد، سواء كان بالشباك أو السنانير، و الصيد الذي يجنيه إذا وفق في ذلك اليوم، وأصناف بعض المأكولات البحرية كالروبيان، والسبيطي، والقبقب وغيرها:

أيْنَ مِنّي الحَدَاقُ ؟ أين مَيَادِيري وأيْنَ الروبيانُ.. أيْنَ العَجِين ؟
والسبيطي ؟ ونتعةً تخْلَعُ القَلْبَ سُرُوراً ؟ وَالقُبْقُبُ الملعونُ
أين مني الغُرُوبُ يَنْزِفُ شِعْرَاً فَعَلَى الأفق مِنْ دِمَاهُ فُنُون ؟ (٢٥)

ومن خلال جميع ما تم رصده تولدت الهوية الاجتماعية في الشعر السعودي من نمط العمل في الزراعة أو الصيد، وصورت بعدًا حضاريًا عندهم، كما تلخصه الترسيمة التالية:

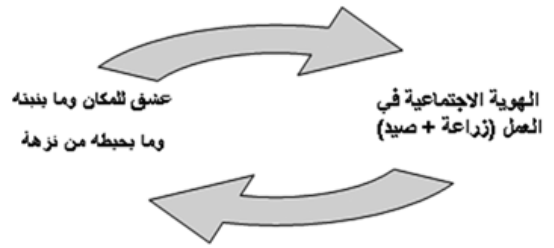

الهوية وأصالة الصحراء

إن مفهوم أصالة الصحراء هو نتيجة للتأمل في مدلولات شعرية، وتعبير يرسِّخ لفلسفة الصحراء التي ظهرت بوضوح لدى شعراء هذه الفترة، يقول محمد الحربي: (أنا بدوي جفت مراعيه)، ويقول محمد الثبيتي: (وتلك في هاجس الصحراء أغنيتي)، وإعلان جار الله الحميد: (إني انتمي للقيظ من هذي البراري) (٢٦).

والذي لاريب فيه أن استدعاء الشعراء السعوديين للبيئة الصحراوية تأكيد على الانتماء القوي إلى الصحراء بكل مفرداتها، وما توحي به من انغراس في الجذور، والأصالة والشموخ، متجاوزين إطار الحضارة والمدنية، وإعلان البداوة في الشعر السعودي حاضر وبقوة في تجارب الكثير من الشعراء السعوديين، ويعد من مكونات الهوية، في الوقت الذي ظهرت فيه الدعوات بتأخر وتخلف هذه الفئة في الجزيرة العربية، ومن الممكن أن نعرج على بعض آراء الدكتور طه حسين، وتلميحاته عن تأخر البدو عن ركب التطور وانعزالهم، ومن أبرز مقتطفات مقولته المعنونة بالحياة الأدبية في جزيرة العرب (٢٧)«أن جزيرة العرب لا زالت مستمرة على حالها القديم، تكاد تكون معزولة عن العالم الخارجي، وأن باديتها عادت إلى جاهليتها قليلاً قليلاً، وأما حواضرها، فاحتفظت بشيء ضئيل تقليدي من الحضارة والأدب والعلم، ولولا أن البلاد المقدسة في الجزيرة العربية، وأن المسلمين يحجون إلى مكة والمدينة كل عام، وأن لليمن أهمية خاصة في التجارة أثناء القرون الوسطى، لأُهملت هذه البلاد إهمالاً تامًا، ولنسيها تاريخ المسلمين»، ومما قاله أيضًا: «أنَّ أصحابه لا يصدرون أدبهم عن أنفسهم، وإنما يقلِّدون فيه أهل الحواضر من المصريين، والسُّوريين والعراقيين، وأن أدبهم رديء لا قيمة له، وتدور حول معان تافهة، ويعزي الحال المتردي للحياة الثقافية والأدبية في الجزيرة العربية إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى»، ومما قاله أيضًا: «أنهم يقرؤون فيفهمون أحيانًا، ويعجزهم الفهم أحيانًا أخرى»(٢٨).

والحق أن الأديب طه حسين كان معجبًا بعدد من شعراء الجزيرة العربية، ودليل الإعجاب هو أنه نشر عدداً من المقدمات لبعض دواوين الشعراء السعوديين في تلك الفترة منها ديوان "الأمس الضائع" لحسن عبدالله القرشي(٢٩)، و"الهوى والشباب" لأحمد عبدالغفور عطار(٣٠)، كما أن أول مقدمة لعمل سعودي كتبت بأقلام المصريين كانت بقلم محمد حسين هيكل لكتاب "وحي الصحراء" لعبدالله بلخير وسعيد خوجه، وارتباط أبناء هذه البلاد بتراث الآباء لم يكن أمرًا مكتسبًا ولا نتيجة لمؤثرات وافدة، بل كان نابعًا من ارتباطهم القوي بلغتهم، ودينهم، وتاريخهم، ومن هنا كانت الأصالة في اللغة، والقيم منطلقهم الأول، وذلك سر إتيان شعرهم صورة لما عرفوه من تراث الآباء والأجداد، وهو أيضًا سر عدم تأثرهم أول الأمر بما قرأوه من حديث الأدب في البلاد العربية (٣١)، ومن الممكن أن نتبين ذلك فيما خلفه شاعر المدينة المنورة إبراهيم الأسكوبي، وشاعر الأحساء عبدالعزيز بن عبداللطيف بن مبارك، وشاعر الجنوب محمد السنوسي،

وترفّ روح السنوسي في أجواء نجد، فتجول الحياة في خاطرة ما أيام المهلهل، وامرئ القيس إلى أيامه الحاضرة، فتكون أصداء ذلك قصيدة هي من روائع شعر السنوسي، وهي تحمل خصوصية، وتساهم في تشكل هوية وانتماء وأصالة تعكس الثقافة العالية التي يتمتع بها الشاعر السعودي، وتزيل صور التشويش، والحط من قدر الشاعر السعودي، ونعت البداوة بالتخلف، والانعزال (٣٢):

كلما هبت الصَّبا هبت الروح طيوفًا وردد الفكر أصدا
نفحات من الفراديس رفت أقحوانًا وأرجوانًا ورندا
عب منها الهواء عطرًا وذابت فوق صدر الفضاء مسكًا وندا
أرج طيب العبير وروح عطَّر الكون بالجمال وندَّى (٣٣)

وخلاصة ذلك أن الشعر المعاصر طرق به أربابه جميع ميادين الشعر، فأبدعوا في ذلك أيما إبداع، ولم يتركوا فنًا من فنون الشعر إلا ولهم فيه سهم،كما أنَّ الفخر بالبداوة يعتبر من مشكلات الهوية في الشعر السعودي، ولفظ البداوة لا نعني به الشاعر البدوي الذي يرعى الغنم، ودائم الترحال، ولا نعني بها البداوة التي هي ضد الحضارة، وإنما هي الأصالة، والفخر بالأرض، ورسالة إلى كل من يقلل من شأن البداوة من الأقطار المجاورة، وأن النظرة إليها نظرة إكبار وأصالة، ومن هنا تأتي الخصوصية التي تميز الشاعر السعودي.

كما تتشكل الهوية الاجتماعية عند الشاعر السعودي من تلك المعاني المرتبطة بالصحراء والبداوة، منها ما يظهر لنا في عناوين بعض القصائد (٣٤)، كما في قصيدة " نداء الصحاري العتيق "، و "خيام القبيلة " لإبراهيم العواجي(٣٥)، و"فواصل من لحن بدوي قديم"، و " صفحة من أوراق بدوي" لمحمد الثبيتي(٣٦)، وقصيدة عبدالله الصيخان ("هواجس في طقس الوطن " معين على التشتت، والمواجع، والعطش الحاضر، ومقابل فني للمطر المرجو الذي تتلهف الصحراء لمجيئه:

إنْ جئتُ يا وطني هَل فيكَ مُتّسَعُ كي نستريحَ ويَهْمي فوقنا مطرُ
وَهَلْ لصدركَ أنْ يحنو فَيَمْنَحُني وسادةً، حلماً في قيظه شَجَرُ (٣٧)

فالمطر والقيظ والشجر مكونات بيئية تدخل جو القصيدة لتمنح الوعي المتنامي على الكلمات طقسًا خاصًا لا يمكن بحال فصله عن طقس الوطن، وطقس الوطن هو طقس الصحراء، طقس الجزيرة العربية حيث القيظ حقيقة بيئية مرتسمة على التضاريس، وحيث المطر والشجر احتمالات قد تتحقق، وقد لا تتحقق، وحين يتطلع الشاعر إلى حلم يجيء بالشجر، فإنه لا يستطيع أن ينسى أنّ القيظ سيأتي كذلك، فحتى على مستوى الحلم تفرض الصحراء نفسها كقيظ معطى، ولا بد منه، بينما يتحرك الشجر والمطر على مستوى الاحتمال الجميل (٣٨).

ومن الممكن أن نتأمل قصيدة علي الدميني "الخبت"، والتي رسم فيها حلمًا انبعاثيًا، نتأمل المطلع بقوله:

"وظلمُ ذوي القُربى" بلادي حَمَلْتُها على كتفي شمساً وفي الروح موقدي
إذا جفَّ ماءُ القطرِ أسقيتُ غَرْسَهَا بدمعي وَوجهتُ الزمامَ لتهتدي

ومن الملاحظ في هذه الأبيات الحضور التراثي من خلال معلقة طرفة بن العبد كنص شعري مرتسم في خلفية القصيدة، ومن خلال التضمين الفولكلوري، أو الاقتباس من الشعر الشعبي فيها، كما تقترب القصيدة من واقعية الرحلة في المعلقة الجاهلية.

ونتأمل جزءاً من القصيدة عندما يقول الدميني:

في الشارعِ الخَلفي واجهتُ البَعيرَ يشمُّ
" عرفجةً " تَيَبس طَلْعُهَا
ويدورُ في الطرقاتِ ملتهماً بقايا الناسِ
والأطفالِ (٣٩)

إن حضور البعير في هذه المنطقة المهملة من المدينة، شارعها الخلفي، وأكله بقايا الناس والأطفال، هو لحظة حاسمة تصلها القصيدة لتخلق منها عدة احتمالات من خلال التساؤل عما إذا كان البعير فقد هويته، فانتهى إحساسه بالغربة، أم ثمة بداية جديدة، أم أنه ما زال يبحث بعناء عن ملاذ في تراث المدينة:

يَاجَمَلَ العَشيْرة
هَلْ غربةٌ نَفَقَتْ ؟
هَلْ طلعةٌ نَبَتَتْ ؟
أَم جِئْتَ تَبْحَثُ في تُراث النّاس عَنْ جَدَث
وَتَحْفُرُ في الطّرِيقِ مَلاذَةً للروح (٤٠)

إن البعير يبحث عن رائحة الحياة في أرض المدينة اليباب، وتظهر الأهمية هنا كونه مظهرًا للإصرار على الالتصاق بالوطن، ودلالة على الاحتماء به على الرغم من أدران المرض المنتشر.

ومن خلال عرض بعض النصوص التي احتوت هذا البعد، نحاول استيعاب ملابسات إعلان الانتماء إلى الصحراء، والظروف المصاحبة لملامح الثورة على المدنية، ومن هذه النصوص قصيدة " ملامح لبدوي عتيق " للشاعر عبدالعزيز العجلان، ووصفه البدوي بالعتيق يجسد رؤيته، فالعتيق بمعنى القديم، والبدوي هنا ضارب في عمق البداوة التي هي رمز الأصالة، كما يرى الشاعر، فهو في منأى عن متغيرات الحضارة والحداثة معنوياً.

ويبدأ الشاعر هنا بإعلان الانتماء، وإشهار الهوية البدوية، هوية الصحراء بقوله:

أنَا هُنَا... قَبْلَ بئر النفط كُنْتُ هُنَا
قَبْلَ البدَايات قَبْلَ الرّيح وَالحقَب (٤١)

إن الارتباط بين الضمير أنا، واسم الإشارة هنا، تأكيد للعلاقة المتناغمة بين الذات والمكان، يثبت من خلالها الوجود الفاعل للبدوي، وامتزاجه بالصحراء دلالة على الأصالة والعطاء، والإشارة إلى النفط، إنما هو اختزال، وإيجاز مكثف لكل ما يدور في نفس الشاعر، إذ يرفض أن يكون النفط مخزن قيم ابن الصحراء، فوجوده وكيانه كان متحققًا قبل مظاهر التمدن، وقبل الطفرة، والشاعر بذلك يسعى إلى تأكيد الهوية البدوية العربية الأصيلة في الانتماء إلى الصحراء(٤٢).

والشاعر إبراهيم العواجي يرسم صورة للصحراء، ويرى بداخلها صورًا للعطاء والأصالة، فالبدوي الذي يعشق الصحراء مرتبط بالغيم المطير الذي يظل ينتظر وقته طوال العام، ومن خلال هذا المطر تعشب الأرض، وتنبت الكمأة بأنواعها، فعشق الصحراء بما تحويه من خيرات وعطاء، هي من صور ذلك الانتماء:

إن شئْت أنْ أَبْقَى
غيمةَ وَسم تُمطرُ همساً
لتَفيءَ الأَرضُ
بأَنْوَاع الكَمَأة
والأَزْهَارْ (٤٣)

والشاعر العاشق للصحراء يرى ما لا يراه غيره، فعلى الرغم من قدم الصحراء، إلا أنها تحتفظ بعزتها التي ظلت محافظة عليها، وأن هذه العلاقة قديمة فُطم عليها الشاعر، وسعد البواردي يبرز الخصوصية في الهوية من خلال العلاقة الحميمية بينه وبين الصحراء:

إني لأعشقُ في الصحراء عزّتَهَا
مُنْذُ القَديم وَمَا أَخْنَى بِهَا القِدَمُ

وهنا تبدأ العلاقة الحميمة بين الشاعر والصحراء، فهي لا تزال تحتفظ بشخصيتها، ومكانتها على الرغم من قدمها، والقدم هنا إشارة إلى الأصل والمكانة التي تتبوؤها الصحراء، وأنها الأصل الذي مازال مصدرًا للعطاء، والانبعاث، والتجدد، وكأنها ذلك الرجل الكبير الذي وجب له التقدير والاحترام، والشاعر تجاوز كل ذلك عندما أعلن أن العلاقة تجاوزت كل علاقات الود والألفة، إنها علاقة عشق وحب، منذ قديم الأزل.

ويحدد سر علاقة الشاعر المتجذرة، والمتينة بالصحراء، خصوصًا أن هذه العلاقة وثيقة الصلة ليس فقط بالشاعر، وإنما هي كابرًا

عن كابر، وكل ما له علاقة بالصحراء هو محط إعجاب في نظر الشاعر، فرمالها الناعمة، والإبل التي تتهادى في خطواتها بكبرياء، وريح الخزامى، والعرار، والأثل، والصبار، تبرز هوية الفخر، والاعتزاز، والأصالة:

أحبُّ فيْهَا رِمَالَ المَجْد لاهبَةً
لَكَمْ عَلَيْهَا جِرَاحُ الحُر تَلْتَئِمُ
أُحبُّ فيهَا الخُزَامَى..وَالعَرَارَ.. وَمَا
يُوْحي به الأثْلُ.. وَالصَّبَارُ.. وَالسَّلَمُ
أُحبُّهَا البيدَ... إني قَدْ فُطمْتُ بها
وإخْوَتي... وَأَحبَائي بهَا فُطمُوا

وفي نهاية القصيدة يعلن الشاعر حالة قصوى من الانتماء والعشق، فالقصر، وكل ما فيه من وسائل الرفاهية، لم تثنه عن الاستمرار في تلك العلاقة الحميمة، فكل شيء يبقى على مكانه، كيف لا، وهي مهد، ومقدمة لرسالات الأنبياء، وهي تجري جريان الدم في حياة الشاعر:

مَا هَزَّني القَصْرُ يَوْمَاً في تَمَنُّعه
وَفيكَ يَا قَفْرُ كَمْ تَحْلُو لي الخيَمُ (٤٤)

ونلخص ما توصلنا إليه في الترسيمة التالية:

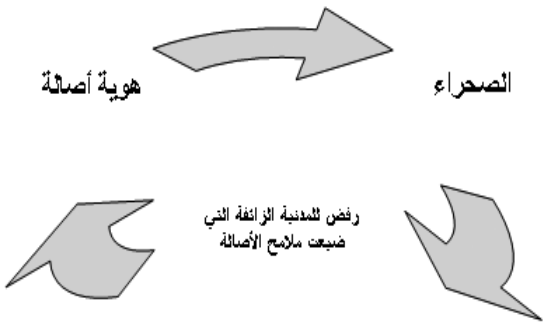

ثانيًا: مؤشرات استدعاء التقاليد والعادات في الشعر بعدًا اجتماعيًا:

تنوعت واختلفت العادات والتقاليد من شعب لشعب، وتمثل بعض الرموز الشعرية الحالة الاجتماعية التي تنتمي لها كل الشعوب، ومن الرموز الاجتماعية التي تمثل هوية في الشعر السعودي رمز القهوة العربية التي عرف أصحابها على مر التاريخ بالكرم، والطيب في تاريخ الآباء والأجداد، وقد تغنى بها غير شاعر، ونموذج القهوة العربية من النماذج التي عرفها الشعر السعودي، وفي التاريخ ارتبط اسم القهوة بجمال الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد الذبحاني الذي عاش في منتصف القرن التاسع الهجري (منتصف القرن الخامس عشر الميلادي)، وهو أول من أدخل هذا المشروب إلى الجزيرة العربية التي عرف أصحابها بالكرم، والطيب في تاريخ الآباء والأجداد، و أصبحت من لوازم الصوفية، لأنها تساعدهم على السهر، وقيام الليل(٤٥)، وبعد مدة لا تتجاوز العقد بدأ بعض المزارعين في زراعة شجرة القهوة بسبب انتشار شربها بين الطبقة العليا في اليمن، ثم قلدتهم العامة، خصوصاً طلبة العلم الذين يحتاجونها لمساعدتهم على السهر، ومن اليمن انتقلت القهوة إلى مكة، وعارضها رجال الدين معارضة شديدة، وأصدر بعضهم الفتاوى التي تحرمها، وعدوها من جنس المسكرات والمثبطات.

كما ذهب بعضهم إلى القول إنها تسبب العلل في الأبدان، والضعف في العقول، وانقسم الناس بسببها إلى قسمين، وكثرت الفتن والمواجهات خصوصاً عندما أيد بعض الفقهاء فريق المحللين للقهوة، واستعان بعض الفقهاء بالسلطة السياسية(٤٦).

وقد تغنى بها غير شاعر، كما توصف القهوة من الناحية الاقتصادية أنها أكثر المنتجات الاستهلاكية في العالم بعد النفط، وأصبحت القهوة ثقافة وهوية اجتماعية لدى العرب، وهي بذلك مصدر انتماء ووجود يفخر بها الشاعر السعودي في هذه الفترة، والشواهد الشعرية لدى شعراء هذه الفترة تبرز قيمة هذا الموروث، وتظهرها بجلاء ووضوح، فها هو حسين النجمي يبرز عشقه لبلاده عندما يشبهها بخيمة البدو؛ لشدة تعلق البدو بالخيمة، وجمال رائحتها يشبه رائحة القهوة الزكية الممزوجة بالهيل، واختياره لرائحة القهوة دلالة على التعلق الشديد بالقهوة، ورائحتها الزكية، وهي بذلك رائحة بلاد الشاعر:

وعشقتُ البلادَ خَيْمَةَ بَدوٍ وَشَذَاها بقهوةِ الهَيْلِ هلا (٤٧)

فالصورة الشعرية للحياة الاجتماعية السعودية لا تكتمل دون معالم عشق الشاعر للخيمة، ومكوناتها الرئيسة، والقهوة الممزوجة بالهيل التي يفوح شذاها، وهي بذلك صورة مكتملة البناء في نظر الشاعر.

وتناول الشاعر السعودي للقهوة في الجزيرة العربية تبعًا لاختلاف المنطقة من حيث مكوناتها، فبعض المناطق تفضل القهوة حلوة، وبعضها تفضلها مرة، وكثيراً ما يرتبط ذكر القهوة بالترحيب بقدوم الضيف، يقول محمود الحليبي على لسان الأحساء مخاطبًا خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله (ولي العهد آنذاك) في إحدى زياراته، مرحبًا بقدومه الميمون، بعد أن قُدِّم له مكونات الضيافة في الأحساء التي تتكون من التمر واللبن والقهوة الحلوة:

أَقْبِلْ أميري أنا الأحساءُ وَاقِفَةٌ عَلَى يَديّ جَلَبْتُ التّمْرَ واللبَنَا٤٨
صَنَعْتُ مِنْ مَاءِ عيني حُلْوَ قَهْوَتكم ذَبحتُ مَا مِنْ حَشَا جَنْبيّ قَدْ سمنا(٤٩)

والشاعر سعد الحميدين يفضل القهوة بنوع من الخصوصية، ومزاج عالٍ، فالبن الذي تصنع منه القهوة يفضله مختراً، وميزة البن المختر أنه يصبح ذا تركيز عال، ويعطي صاحبه مزيدًا من الحيوية والنشاط، خصوصًا عندما يشنف آذانه صوت الربابة، وإذا حضر ذلك، فإنه لا يكتفي بتناول كوب واحد، وإنما يعب أقداحًا من القهوة:

وأشنِّفُ الاسماعَ مِنْ صَوْتِ الربابْ
فأعُبُّ أقداحاً مِنَ البنِ المختّرِ في الدِلالْ
حَمولاً مِن دُخان (٥٠)

ويتكرر تأثير القهوة بأنواعها في شعر عبدالله الهمل، باحثًا عن نوع آخر من القهوة التي تزيد من تركيز صاحبها، ومزاجه العالي، وقد مزجت بالحليب، وهو بذلك يحلق في أجواء أم كلثوم، فحضورها سبب في التقليل من الضغوط، ومخفف من عناء التعب وكثرة الهموم:

أبحثُ عَنْ مَذَاقِ البُنِّ الأشهبْ
غَصّ بآهاتِ أُم كَلْثُوم
وَمزَاجِها العالي
عَن الحبْرِ المحلى
أبْحَث (٥١)

ومن الممكن الاطمئنان إلى القول بأن القهوة ليست من تراث العرب، ولم يعرفها الشعراء العرب، ولكنها أصبحت من مكونات المجتمع العربي الحديث، كما أنها أصبحت تشكل هوية الكرم للرجل العربي، وأنها مقترنة بالضيف في كل المناسبات.

ويمكن للترسيمة أن تختصر دلالة القهوة في الهوية الاجتماعية عند الشاعر السعودي:

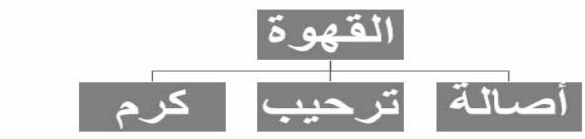

الهوية والموروث الشعبي:

ويمثل الموروث الشعبي جزءاً مهماً من تاريخ وثقافة الشعوب، فهو الوعاء الذي تستمد منها تقاليدها، وقيمها الأصيلة، ولغتها، وأفكارها، وممارستها، وأسلوب حياتها، وهو جسر التواصل بين الأجيال، إضافة إلى أنه يضمّ رواسب الزّمن والحياة والسّلوك، ويحمل رؤية الشّعوب لأصولها، ولأحداث تاريخها، وهو من الركائز المهمّة للهُويّة الوطنيّة، ونماذج استدعاء الموروث الشعبي يعج بها الشعر السعودي.

وتزخر حياة الأطفال في المجتمع السعودي بنماذج من التقاليد والموروثات في أصول التعامل وأساليب التربية، وأنواع اللعب، وأشكال السلوك، ويظل المرء يحن إلى هذه المرحلة التي تخلو من المسؤولية، وتتمتع بالبراءة، فعلي عسيري يدعو تلك الطفلة التي تعلقت بالمظاهر الوافدة أن تعود لفطرتها، وإلى طفولتها حين يشع الفرح من عينيها، وتركب الأراجيح، وتلعب الكعاب (٥٢):

تَأتينَ طفلةً يشعُ من عُيُونهَا الفَرَح
تُسَابِقُ الأَطْفَالَ في أراجيحِ الدوالي
وَتلْعَبُ "الكعَابَا"
وَتَغْسلُ الهُمومَ من عيونهم
وتَشْظفُ التّعَبْ

والشاعر هنا يغريها بالعودة إلى الطفولة الهانئة، وألعابها البريئة، و يتمنى أن يعود هو كذلك إلى هذه المرحلة من العمر، ويرجع طفلاً يلعب مع الصبيان ألعابهم المفضلة، ومنها لعبة المقطار في ساحة "البحار" الفسيحة وسط أبها، وهو بذلك ينتزع من عمق التراث الشعبي، المتجذر في الحياة العسيرية اسم "البحار"، وهي أوسع ساحة في مدينة أبها معروفة في القديم والحديث، وتقام فيها المراسم والاحتفالات، ويختار من ألعاب الطفولة المعروفة في المنطقة "الكعاب"، و"الأراجيح" للبنات، و"المقطار" للأولاد، جريًا على التقاليد الاجتماعية في إيثار أنواع من الألعاب لكل جنس (٥٣):

يَا لَيْتَني أَعُودُ طفْلا ألعَبُ المقطار
في سَاحَة البحار
تهدّني شَقَاوَتي...يَسُفَني الغبارْ (٥٤)

ويشير غازي القصيبي إلى لعبة الصرقيع التي عرفها منذ الطفولة، بالإضافة إلى مكونات اللعبة وهي قطع الخشب، والطقوس التي تتخللها أثناء اللعب، ومن تلك الطقوس: المشروبات الغازية التي يشربها الصبية بعد أن يقوموا برج العلبة حتى يطيش المشروب، ويتم شرب ما تبقى منه:

أيْنَ ذَاكَ الضّجيجُ في لُعْبَة الصرقيع
يَعْلُو.. والقُب وَالقلّينْ
أيْنَ نَامليتنا يَطيشُ وَيَغْضي
فَهْوَ كالدّهْر ثورةٌ وَسُكُون

ويتخلل تلك الأحداث عادة عرفت في الخليج، وهي " القرقاعون"، وهي من العادات الشعبية التي لا زالت متوارثة حتى وقتنا الحالي، وهي عبارة عن قصة تراثية ضاربة في جذور التاريخ، وعادة سنوية تقام في شهر رمضان، حيث يخرج الأطفال في هذه الليلة مبتهجين يدورون في"الفرجان"، وهم يلبسون الملابس الجديدة التي قد تُخاط لهم خصيصاً لهذه المناسبة، ويحملون معهم أكياساً يجمعون فيها الحلوى، والمكسرات التي يحصلون عليها من أصحاب البيوت(٥٥)، ويكمل وصف تلك اللحظات:

أيْنَ نَبْتٌ غَضٌّ عَلَى السّيْف يُلْقَى
كُلّ عيدٍ وَأيْنَ قَرْقَاعُون (٥٦)

وعالج الشعراء عادات اجتماعية متعددة شاعت في المجتمع السعودي، وكل ذلك إنما هو تعبير لهوية شعراء هذه المرحلة الاجتماعية لوجدان البيئة، وخدمة المجتمع الذي يعيشون فيه،ويشعرون بعمق الانتماء إليه، لذلك جاء معبرًا عن المجتمع وهمومه، واهتماماته، ومدافعًا

عن أصالته وتراثه، وظل الشعراء في ذلك مشدودين إلى تقاليد بيئتهم، ومدللين على عمق الانتماء، والأصالة الفكرية، مزجت بفنية مثيرة ومقنعة في نفس الوقت.

والترسيمة التالية تلخص ما نريده:

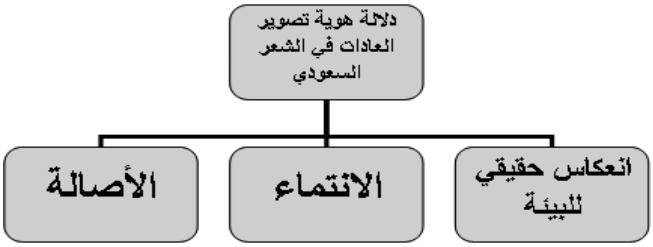

ومن الممكن أن نجمل النقاط التي تمخضت عنها الدراسة في عدة جوانب، أهمها:

١- تمركزت أبعاد الهوية الاجتماعية في الشعر السعودي حول العادات، والتقاليد، والأصالة، والنموذج المثال، والانتماء، والأبعاد الإيجابية، وحوى كل ذلك هوية واحدة هي هوية المواطنة، وحب الوطن.

٢-لم تقف هوية الشاعر السعودي عند حدود عشقه لنمط معيشي ما، أو عدم عشقه له، بل تجاوز الشاعر السعودي ذلك العشق لدلالات أكثر عمقًا، كان من بينها هوية الانتماء التي تلتف حولها أغلب دلالات الهوية البارزة عندهم.

٣-ظهرت الهوية في الشعر السعودي المعاصر ملتصقة بما يعشقه الشاعر، وبعيدة عما لا يعشقه، فاقتربت من الصحراء، والترحيب بالضيف، والخيمة، والنخلة، وابتعدت عن المدينة وصخبها، وغير ذلك مما أظهر بعدين لهوية الشاعر السعودي: البعد العام الذي يجتمع حوله الشعراء، والبعد الخاص الذي قد يميز شاعرًا عن آخر.

أما أبرز المقترحات بعد هذه الدراسة، فتتركز في نقاط أهمها:

١ دراسة الهوية في الأجناس الأدبية، ثم مقارنتها بالهوية في النص الشعري؛ لكشف جوانب الاتفاق والاختلاف بينها، وهذا يتطلب دراسة الهوية في الأجناس الأدبية، ثم اعتماد الدراسة المقارنة على البحوث في هذه الأجناس.

٢- الدعوة إلى مؤتمر سنوي، يختص بدراسة قضايا الهوية في الأدب والفكر، و تكثيف الدراسات والبحوث حول مسألة الهوية؛ وذلك لأهميتها في هذه المرحلة من تاريخ أمتنا التي تشهد تحديات جدّية لمكونات هويتنا العربية والإسلامية.

الهوامش

(١) انظر: من سلسلة محاضرات "أربعاء تريم الثقافي" ، محاضرة بعنوان "التراث والهوية" ل:عبدالعزيز بن عثمان التويجري، برعاية وزارة الثقافة السورية، الأربعاء ١٤٣١/٨/٢ه.

(٢) انظر: الهوية في الشعر الأردني المعاصر ١٩٨٥م-٢٠٠٥م، د. بشار مخلد الغمار، أمانة عمان الكبرى، ط:الأولى، ت:بدون.ص ٥٥.

(٣) انظر: تيمات الأرض / المرأة في الشعر الأمازيغي بالريف (مقالة) ، الحوار المتمدن، العدد ١٦٦٤، تاريخ ٢٠٠٦/٩/٥م.

(٤) قبلة في جبين القبلة، حسن محمد الزهراني، ص ٣٠

(٥) شاطئ اليباب، عدنان العوامي، حقوق الطبع محفوظة لدى الشاعر، ط: الأولى، ١٤١٢ه، ص ١٢٧

(٦) ديوان حديث النهر، صالح الوشمي ١٤٢٨ه، ص ٨٥

(٧) سورة مريم، الآية ٢٥

(٨) انظر: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د. صابر عبد الدايم، دار الشروق، القاهرة، ط:الثانية، ١٩٦٨م، ص ١١٧.

(٩) الأثيث: الكثير المتراكب.

(١٠)ديوان امرئ القيس، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:الخامسة، ٢٠٠٤م، ص ١١٥

(١١) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٨٧

(١٢) مدينة الدراري، محمد بن سعيد الخنيزي، مطابع الرضا، الدمام، ط:الأولى، ١٤١٤ ه، ص ٨٧

(١٣) صحيفة الرياض، عدد ١١٨٩٦، الموافق الخميس ٢٣ شوال /١٤٢١ه.

(١٤) صنف من النخيل معروف في القطيف، رطبه أسود مستطيل يمتاز بلذة مذاقه.

(١٥) ديوان شاطئ اليباب، ص ١١١

(١٦) ثمر هندي لذيذ الطعم استنبت بالأحساء.

(١٧) الدر المكنون في شتى الفنون، محمد الملحم، ص٢٣

(١٨) تهاويل عبقر، محمد الخنيزي، ص ٤٦

(١٩) الأعمال الشعرية، سعد الحميدين، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٣م، ص ١٣٦

(٢٠) مدينةُ الدراري، محمد سعيد الخنيزي، ص ٧٤

(٢١) مدينةُ الدراري، محمد سعيد الخنيزي، ص ٧٦

(٢٢) إحمرار الصمت، إبراهيم عبدالله مفتاح، دار الصافي للثقافة والنشر، ط:الأولى، ١٤٠٩ه، ص ٧٦

(٢٣) لا ماء في الماء، محمد العلي، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام، ط: الأولى، ١٤٣٠ه، ص ٣٩

(٢٤) ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٢م، ص ١٩

(٢٥) سيرة شعرية، غازي عبدالرحمن القصيبي، مطبوعات تهامة، جدة، ط:الثالثة، ١٤٢٤ه، ص ٢٧٣

(٢٦) انظر: ثقافة الصحراء، دراسات في أدب الجزيرة العربية، سعد البازعي، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ط: الأولى، ١٩٩١م، ص ١٢

(٢٧) مجلة الهلال، الأربعاء ١ آذار (مارس) سنة ١٩٣٣م، ٥ ذو القعدة سنة ١٣٥١ه.

(٢٨) المصدر السابق، ص ٣٨

(٢٩) دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٧ه، ١٩٥٧م، ط: الأولى، مقدمة الديوان.

(٣٠) مكة المكرمة، ١٤٠٠ه، ١٩٨٠م، ط: الثانية، ص ١٠، ١١

(٣١) انظر: الأدب الحديث تاريخ ودراسات، د. محمد بن سعد بن حسين، مطابع الفرزدق، الرياض، ط: الخامسة، ١٤١١ه، ٢/ ٥٥ وما بعدها.

(٣٢) انظر: الأدب الحديث تاريخ ودراسات، د. محمد بن سعد بن حسين، مطابع الفرزدق، الرياض، ط: الخامسة، ١٤١١ه، ٢/ ١٧٨

(٣٣) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد السنوسي، نادي جازان الأدبي، جازان، ط: الأولى، ١٤٢٣ه، ص ١٥٧

(٣٤) انظر: في ذاكرة الصحراء، إبراهيم الدبيسي، من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط: الأولى، ١٤١٤ه، ص ٧٨

(٣٥) الأعمال الشعرية الكاملة، إبراهيم العواجي، المجموعة الأولى، دار المداد للنشر والتوزيع الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠ه، ص ١٨٥، ١٩٨

(٣٦) ديوان محمد الثبيتي، الأعمال الكاملة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٩م، ص٢٠٢

(٣٧) هواجس في طقس الوطن، عبدالله الصيخان، منشورات دار الآداب، بيروت، ط:الأولى، ١٩٨٨م، ص ٦٠

(٣٨) انظر: ثقافة الصحراء، د. سعد البازعي، ص ٥٠، ٥١

(٣٩) رياح المواقع، علي الدميني، حقوق الطبع محفوظة لدى الشاعر، ط:الأولى، ١٤٠٧ه، ص ٧

(٤٠) رياح المواقع: علي الدميني، ص ٥

(٤١) أشياء من ذات الليل، عبدالعزيز العجلان، مطابع الخالد للأوفست، ط: الأولى، ١٩٩١م، ص ١٣

(٤٢) الهوية البدوية والانتماء للصحراء، مقالة للدكتورة دوش الدوسري على الرابط:

http://www.startimes.com/f.aspx?t=١٠٢٦٣١٥٨

(٤٣) الأعمال الشعرية الكاملة، إبراهيم العواجي، ص ١٠٧

(٤٤) أغنيات لبلادي، سعد البواردي،النادي الأدبي بالرياض، ط: الأولى، ١٤٠١/١/١ه، ص ١٩

(٤٥) انظر: تاريخ القهوة، عبدالله بن إبراهيم العسكر، جريدة الرياض، عدد ١٤٧٣٧ الموافق ٢٩ شوال ١٤٢٩ه ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٨م.

(٤٦) انظر: من التاريخ الثقافي للقهوة والمقاهي، محمد الأرناؤوط، جداول للنشر والتوزيع، الكويت، ط:الأولى، ٢٠١٢م، ص ١٩ إلى ٥٣

(٤٧) قبلة على جبين الوطن، حسين أحمد النجمي، إصدارات نادي أبها الأدبي ١٤٢٧ ه، ط: بدون، ص ٣٢

٤٨٤٨

(٤٩) الأحساء في عيون الشعراء، عبداللطيف العقيل، ص ٦٠

(٥٠) الأعمال الشعرية الكاملة، سعد الحميدين، ص ٥٤

(٥١) يطفو كحبات الهيل، عبد الله الهمل، ص ١٠٣، ١٠٤

(٥٢) انظر:العناصر التراثية في شعر علي عسيري، محمود إسماعيل عمار المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ١٤١٩ه، ص ٥٨، ٥٩.

(٥٣) انظر: المصدر السابق، ص ٥٩

(٥٤) من قصائدي، علي عسيري، ص ٤٦

(٥٥) انظر: القرقاعون..فرحة رمضانية سنوية لتأكيد التراث، إيمان عباس، صحيفة الوسط البحرينية، العدد ١٨٤٢، السبت ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٧م، الموافق ١٠ رمضان ١٤٢٨ه.

(٥٦) كان الأطفال في الخليج يلقون على شاطئ البحر في أمسية العيد نباتا صغيرا سبق أن زرعوه في وعاء، ويغنون وتسمى هذه المناسبة "الحية بية"، انظر:سيرة شعرية، غازي القصيبي، ص ٢٧٢، ٢٧٣